لطائف المعارف [آية الكرسي]

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق الكون بما فيه وجامع الناس ليوم لا ريب فيه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله آخر الأنبياء في الدنيا عصرا وأرفعهم وأجلهم يوم القيامة شأناً وذكرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين ،،،،،، أما بعد

أيها الإخوة المباركون هذا لقاء متجدد من برنامجكم (لطائف المعارف) وعنوان حلقة هذا اليوم (آية الكرسي) وقد مر معنا في لقاءات سبقت ودروس خلت أن بعض آيات القرآن الكريم أخذت اسماً خاصاً بها زيادة على أنها وقعت في سورة لها اسم وقد مر معنا [آية المباهلة] وهي المذكورة في سورة آل عمران ومن آيات القرآن التي وُسمت [آية السيف] وهي الآية الرابعة من سورة براءة أو سورة التوبة و[آية المجادلة] وهي الآية التي افتتح الله جل وعلا بها سورة المجادلة كذلك من آيات الله جل وعلا بل من أعظم آيات القرآن التي سميت باسم خاص بها [آية الكرسي] وهذه الآية المباركة قال النبي عنها في الخبر الصحيح الذي رواه ابن حبان بسند صحيح أنه قال: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يمت) وآية الكرسي وردت في سورة البقرة قال الله جل وعلا وهو أصدق القائلين: }اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ{ أما قول ربنا جل وعلا }اللّهُ{ فهذا علم على ربنا تبارك وتعالى لم يسمى ولن يسمى أحد به غيره جل وعلا قال ربنا تبارك وتعالى في سورة مريم } وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً { أي ليس له سمي جل وعلا }اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ{ هذه لا النافية للجنس ومعنى الآية: لا إله معبود بحق إلا الله وإلا الآلهة التي تُعبد من غير الله كثيرة في الأرض لكن كما قال القرشيون: } أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً{ لكن لا معبود بحق إلا الله }اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ{ والحي اسم من أسماء الله جل وعلا الحسنى وحياة ربنا تبارك وتعالى صفة ذاتية لازمة له فهو حي حياة لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال أما قول ربنا جل وعلا } الْقَيُّومُ { فإنه تبارك وتعالى كل أحدٍ غيره مفتقر إليه وهو جل وعلا قائم على كل نفس قائم

على كل أحد وهو تبارك وتعالى استغنى بحمده عن كل أحد وافتقر كل أحد إليه جل وعلا }اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ { قال : (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يخفضه ويرفعه حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) }لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ { هذه الام لام الملكية المطلقة والله جل وعلا جعل الملك صوري وملك حقيقي الملك الحقيقي له وحده تبارك وتعالى دون سواه أما ما نملكه اليوم ما ملّكنا الله جل وعلا إياه من أمر عظيم أو أمر حقير فلا يلبث أن يُنزع منا أو ننزع منه فيرد الخلائق على ربهم في ساحة العرض الأكبر وليس معهم شيء وهذا معنى قوله : (حفاة عراة غرلاً بهماً) بهماً أي غير ممولين ومن هن تفقه القرآن في قول الله جل وعلا : (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) وقول الرب تبارك وتعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً * الْمُلْكُ -أي الملك الحقيقي- يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً) فالذي أفادته اللام هنا أن الملك المطلق له تبارك وتعالى فالخلق كلهم عبيد مقهورون له } لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ { وذُكرت(ما) وإن كانت لغير العاقل من باب التغليب لأن غير العقلاء أكثر من العقلاء في المخلوقات } لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ { ثم قال الله : } مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ{ وهذا أسلوب استفهامي إنكاري أي لا أحد يشفع عنده جل وعلا إلا بإذنه وهذا أحد شرطي الشفاعة } يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء{ يعلم الله جل وعلا ما قد كان ويعلم جل وعلا ما يكون ويعلم جل وعلا ما سيكون ويعلم تبارك وتعالى ما لم يكن لو كان كيف يكون } يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ{ أي خلقه } بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء{ وقد مر معنا في قصة الخضر وموسى أنه لما ركبا في تلك السفينة من غيرمنزل من غير أجرة قبل أن تحدث تلك الحوادث العظام التي رآها موسى مع الخضر جاء طائر فنقر بمنقاره في البحر نقرتين أو ثلاث ثم مضى فقال الخضر لموسى معلماً ومرشداً:(ما بلغ علمي وعلمك من علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من البحر) والله ربنا يقول هنا :} وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء{ فلا يمكن لأحد أن يأتي بعلم من جيبه والملائكة قالت بين يدي ربها جل وعلا : } سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{ } وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء{ فعلم الرسل علم الملائكة إنما بما علمهم الله جل وعلا ولهذا العاقل من انتهى إلى حدود علمه وسنقف إن شاء الله تعالى في لقاء منفرد عن قول الله تبارك وتعالى : } وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ{ لكننا هنا ننيخ المطايا عند قول الله جل وعلا : } وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء{ فالإنسان لا سبيل له إلا ما علمه الرب تبارك وتعالى والله يقول : } وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

شَيْئاً{ والنبي □ على رفيع قدره وجليل مكانته كان يُسأل فكان لا يعرف الجواب لأن الله لم يأذن بتعليمه بعد في ذلك الموقف فيسأل جبريل فيخبره جبريل فيخبر □ بناءً على تعليم جبريل له أصحابه بما كان قال ربنا بعد ذلك : } وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ { اختلف في معنى الكرسي فقيل: هو موضع القدمين للرب تبارك وتعالى وهذا منحى المفسرين الذين تغلب عليهم الصناعة الحديثية وبعض العلماء فسر الكرسي بمعنى العلم وهذا اختاره ابن جرير الطبري رحمة الله تعالى عليهم وبعض أهل الفضل من العلماء يتجنب أو يحتاط لنفسه فلا يصل إلى أن يُأوِّل في هذه الآية ، والذي ينقدح في القلب ينقدح في الذهن أن الله جل وعلا يعظم شأنه يخبر عن عظيم ذاته العلية هذا الذي ينقدح في قلب كل مؤمن ابتداءً وهو الغاية المقصودة من القرآن جملة } وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ { ثم قال ربنا } وَلاَ يَؤُودُهُ{ أي لا يعجزه تبارك وتعالى } حِفْظُهُمَا{ حفظ ماذا؟ حفظ السماوات الأرض وكل المخلوقات إنما هي بين السماوات والأرض } وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ{ أي جل وعلا } الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ{ هذان اسمان من أسمائه الحسنى تبارك وتعالى وهو جل وعلا له علو القهر وعلو الذات وله تبارك وتعالى علو المكان وهو العظيم جل وعلا الذي لا يبلغ عظمته أحد كائن من كان ثم قال الله جل وعلا بعد أن ذكر هذه الآية العظيمة التي هي أفضل آيات القرآن فقد سأل النبي □ أبي بن كعب □ : (أي آية في القرآن أعظم؟) قال: قلت: يا رسول الله }اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ{ فضرب □ براحة يده صدر أبي وقال: (ليهنك العلم يا أبا المنذر) وهذا من طرائق تقرير الخطاب وتقري صحة الإجابة التي وُفق لها أبي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، بعد أن ذكر الله جل وعلا هذه الآية المباركة التي فيها أصول العقائد وفيها التمجيد والتعظيم والتحميد لرب العزة والجلال جل جلاله قال الله جل وعلا بعدها : } لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ{ بعض العلماء كالشعبي وغيره يأخذون هذه الآية في قضية اليهود والنصارى فيُقصرونها على من طولبوا بالجزية أي لا تكرههم على الدين ما داموا يؤدوا إليك الجزية وأكثر أهل العلم وهو الحق أن هذا منحىً غير صحيح فإن الآية عامة وإنما المقصود منها أن مسائل العقائد لا يمكن فرضها فإنه يمكن لنا أن نجبر الناس على مسألة فعلية أن نطعمهم ما نريد فيأكله قهرا أو أن يخطو خطوات إلى مكان ما أو أن ينزل من علو أو ما أشبه ذلك مما يمكن جبر غيرك عليه لكنه لا يمكن لأحد كائناً من كان أن يجبر أحداً على عقيدة يقرها في قلبه لأنه لا سبيل إلى معرفة ما في قلوب الناس إلا إذا تلفظوا وأفصحوا عما تكنه ضمائرهم وتحويه سرائرهم على ذلك قال الله جل وعلا :} لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ{ لم يا ربنا لا إكراه في الدين؟ لأن التوحيد دين الفطرة ظاهر لا يحتاج إلى أن تكره الناس عليه ولا سبيل أصلاً إلى إكراه الناس عليه } لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ { ثم قال ربنا : }فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن

بِاللّهِ{ فلا بد من الجمع بين هذين الأمرين العظيمين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فإذا تحقق من امرئ أن كفر بالطاغوت ونبذ كل إله يُعبد دون الله وآمن بالله قال الله جل وعلا : } فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ{ أي بصنيعه هذا }اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ{ قال الله : } لاَ انفِصَامَ لَهَا{ هذه (لا) نافية وقد مرت معنا هناك أيها المبارك (فصم) وهناك أيها المبارك (قصم) كلاهما يعني النزع لكن الفصم يقع ثم يبقى تعلق من ذلك المفصوم بأصله ولو خيطاً دقيقاً أو رفيعا ، أما القصم فهو إزالته بالكلية والبينونة التامة ما بين ما ناقص وما بين أصل الشيء ، فلما نفى الله جل وعلا الانفصام كان ذلك من باب أولى للنفي أن يكون الأمر مفصوماً فيصبح من حقق هذا الأمر وهو نبذ الطاغوت والكفر به وتوحيد الله جل وعلا والإيمان به }فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ{ استمساكاً عظيماً لا يشوبه شائبة عبر القرآن عنها بقول الرب تبارك وتعالى : } لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ { سميع للأقوال عليم بالأفعال وهو الرب الجليل العظيم الكبير المتعال . نخلص من هذا كله أيها المبارك أن الإنسان ينبغي أن يعلم أن هناك يقينيات كبرى لا سبيل إلى الأمن يوم القيامة إلا باعتقادها والإيمان بها والذود عنها وتمثلها في حياتنا ومن ذلك أنه لا رب يُعبد ولا إله يستحق العبادة إلا الله جل وعلا وأن هذا الرب الكريم والإله العظيم له أسماء حسنى وله صفات عُلى فهو جل وعلا إذا آمنا بهذه الأسماء على مراده وعلى مراد رسوله كم كان الشافعي يقول: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) وقر الإيمان في القلب وملئ ذلك القلب خشية و تقى وحُق له برحمة الله وفضله أن ينجو يوم العرض الأكبر والوفادة على الرب جل وعلا وهذه الآية العظيمة الجليلة التي هي أعظم آيات القرآن الموسومة بآية الكرسي تلاوتها تدبرها يورث في القلب خشية وفضلاً كبيراً يشعر به المرء في غدوه ورواحه وإلا لو لم يكن مع ذلك الشأو العظيم لما قال : (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) فبهذا يفزع المؤمنون إلى ربهم جل وعلا دبر كل صلاة في أن يتلو تلك الآية فإذا صحبت تلك التلاوة تدبر وفهم وفقه وإدراك لمعان عظيمة حوتها هذه الآية الكريمة كان ذلك أنجع في الطريق وأعظم تأثيراً في القلب ويسلك به المرء الخشية التي يريدها حتى يصل إلى مرقىً عظيم يؤمله في أن يلقى الرب تبارك وتعالى عليه..

هذا ما تيسر إيراده وتحرر إعداده وأعان الله على قوله حول هذه الآية المباركة (آية الكرسي)

وصلى الله على محمد وعلى آله،،،

والحمد لله رب العالمين................